المستوى السنة: الأولى العلوم الانسانية

محاضرة حول: الاستمارة

تعتبر الاستمارة من أكثر أدوات جمع البيانات استخداما وشيوعا في البحوث الاجتماعية، وذلك بسبب ما تحققه هذه الأداة من مزايا على مستوى الجهد والوقت والتكلفة، وأيضا سهولة معالجة بياناتها احصائيا.

1-تعريف الاستمارة:

يعرفها " محمد عبيدات وآخرون": مجموعة من الأسئلة المكتوبة التي تعد بقصد الحصول على معلومات أو أراء المبحوثين حول ظاهرة أو موقف معين.

كما عرفها" خالد حامد": بأنها نموذج يضم أسئلة توجه الى المبحوثين من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكلة أو موقف يتم ملؤها مباشرة وتسمى الاستبيان يطلب من المبحوث الإجابة عنها مباشرة، وقد ترسل عن طريق البريد وتسمى الاستبيان البريدي، أما استمارة المقابلة فيقصد بها قائمة الأسئلة أو الاستمارة التي يقوم الباحث باستفتاء بياناتها من خلال مقابلة تتم بينه وبين المبحوث.

يمكن الفصل بين الاستمارة المباشرة التي يقصد بها الاستبيان والذي يقوم خلاله المبحوثين بالإجابة المباشرة على مختلف الأسئلة التي تشكل الاستبيان، واستمارة المقابلة وهي التي يقوم الباحث فيها بمقابلة المبحوثين وملئ الاستمارة معهم كما تسمى استمارة استبيان، على عكس استمارة الاستبار التي يقوم المبحوث بمليء الاستمارة بمفرده دون تدخل الباحث ، أما الاستمارة أو الاستبيان البريدي فترسل عبر البريد للمبحوثين ويقوم بدوره بملئها وارجاعها عبر البريد ، كما هناك نوعا آخر الاستمارة الالكترونية والتي يمكن ارسالها الى المبحوثين عن طريق البريد الالكتروني ليتم فيما بعد استلامها بعد الإجابة عن أسئلتها وهي لا تختلف عن الاستبيان البريدي كونها تستعين فقط بوسائط تكنولوجية ، وكذلك الاستمارة بالهاتف التي تملأ عبر الهاتف لكن الإجابة هنا تكون فورية، حيث يقوم الباحث بطرح السؤال والمبحوث يجيب عليه.

فالاستمارة مفادها أنها: تلك الأداة التي تحتوي على مجموعة من الأسئلة المتنوعة المرتبطة بموضوع بحث ما، والمضبوطة والموجهة باعتبار أن الباحث يقوم بتحديد صيغ الإجابات مسبقا، ويقوم المبحوث بالإجابة عنها بشكل مباشر دون تدخل الباحث، وذلك للكشف عن مواقف أو اتجاهات مجموعة من الأفراد واستخلاص

آرائهم حول الظاهرة المدروسة، والكشف عن العلاقات الممكنة بين مختلف المتغيرات مع اجراء مقارنات كمية باستخدام الإحصاء.

2-خطوات تصميم الاستمارة:

1-تحديد نوع البيانات المطلوبة للبحث:

يكون تصميم استمارة البحث في ضوء الإطار العام للبحث، ويكون التصميم بناء على خطة محكمة تضمن احتواءها على جميع النقاط الرئيسية والفرعية التي يشتمل عليها البحث، بحيث يضمن تسلسلها المنطقي.

ويبدأ تصميم الاستمارة بقيام الباحث بتحديد المجالات أو المحاور الرئيسية التي يشتمل عليها البحث، ويضع الأسئلة الخاصة بكل مجال من هذه المجالات، ويستعين في ذلك بخبرته وبآراء الخبراء وبالدراسات السابقة المرتبطة بموضوع بحثه.

2-تحديد شكل الأسئلة وصياغتها وتسلسلها:

ان الاتجاه الشائع في بناء الاستمارات هو نموذج السؤال المغلق فهو يتوافر على اختيارين للإجابة أو على الاختيار أكثر اتساعا، وفي الحالة الأخيرة يمكن اقتراح عدة طرق للإجابة المحتملة، وأحيانا يمكن استعمال النموذج المفتوح.

ويمكن للباحث تصميم الاستمارة في احدى الأشكال التالية وهي: الأسئلة المغلقة والأسئلة المفتوحة، والأسئلة نصف المفتوحة، أو المزج بينها جميعا.

أما الأسئلة المغلقة أو المقيدة فهي التي تتطلب من المبحوث اختيار إجابة من عدة إجابات أو خيار من مجموعة من الخيارات مثل: نعم أو لا، موافق أو غير موافق، وقد تتدرج الإجابات من التأييد المطلق الى النفي المطلق مثل: موافق بشدة، موافق، محايد، معارض بشدة، معارض، وقد تكون قياسا، مثل: جيد جدا، جيد، متوسط، ضعيف، ضعيف جدا، وقد تكون الخيارات في شكل: دائما، غالبا، أحيانا، نادرا، أبدا.

3-صياغة الأسئلة:

على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار جملة من الأمور عند صياغته لأسئلة الاستمارة يمكن ايجازها فيما يلي:

- يجب أن تكون أسئلة الاستمارة واضحة ومحددة وبلغة تتناسب مع مستوى المبحوثين.
- يجب تعريف وتوضيح التعبيرات أو المفاهيم أو المصطلحات الغامضة والتي قد تحتمل أكثر من تفسير للمبحوثين.
- يجب أن يكون السؤال مقبولا من حيث الطول، فلا يجب أن يكون طويلا قد يضلل المبحوث، وعادة لا يفوق طول السؤال السطر.
- في حالة الأسئلة التي تتضمن اختيارات، يجب وضع جميع الاختيارات الممكنة للإجابة أو على الأقل التركيز على الخيارات المهمة، وترك المجال مفتوحا لوضع اختيارات أخرى.
- البدء بالأسئلة السهلة التي لا تحتاج الى تفكير عميق من المبحوث، أو تتطلب الرجوع الى وثائق أو ملفات أو مراجع...، ثم التدرج نحو الأسئلة الصعبة فالأكثر صعوبة.
- يجب اعتماد التسلسل أو التدرج من الأسئلة العامة الى الأسئلة الخاصة.
- يجب أن يكون السؤال يعالج قضية أو ظاهرة واحدة، وتجنب وضع الأسئلة التي تتطرق لأكثر من مشكلة أو موضوع.

4-اختبار الاستمارة:

بعد انتهاء الباحث من اعداد استمارة بحثه، عليه القيام بتحكيمها من قبل محكمين خبراء، ثم اختبارها ميدانيا على عينة من مجتمع البحث، وذلك للتعرف على مدى مناسبتها من حيث الصياغة والمضمون لتحقيق أهداف البحث، وكذلك تحديد ما إذا كانت العبارات مناسبة للمستوى الثقافي للمبحوثين أم لا، وأيضا تحديد درجة استجابتهم للاستمارة، والزمن الذي يستغرقه المبحوث في الإجابة على الأسئلة.

5-مكونات الاستمارة:

تحتوي الاستمارة في شكلها النهائي على جزأين هامين، هما:

1-مقدمة: والمقصود بالمقدمة هنا:" ذلك الجزء من الاستمارة الذي يهدف الى تشجيع المبحوث على المشاركة في مشروع البحث، كما أنها تعطي للاستمارة صفة الرسمية، وعادة ما تشتمل المقدمة على البيانات التالية:

- الهيئة أو الشخص، أو الجهة القائمة بالبحث.
- العنوان

- توضيح صفة القائم بالبحث والمشرف.
- صفة الشخص الموجه اليه الاستمارة (عزيزي/ السيدة/ الأستاذ...)
- إيجاد بعض الحوافز للمبوحثين لتحميسهم للإجابة على الأسئلة
- نوع المعلومات التي سيحتاج اليها الباحث من المبحوثين.
- توضيح طريق إجابة المبحوثين على الأسئلة المختلفة.
- التركيز على سرية وعلمية المعلومات التي تتضمنها الاستمارة.
- توضيح مدى الفائدة التي ستعود على البحث في حالة الصراحة والموضوعية.
- كتابة عبارات شكر وتقدير للمبحوثين.

2-البيانات الشخصية للمبحوثين:

كما سبقت الإشارة اليه يفضل تخصيص صفحة خاصة، تضم البيانات الشخصية أو السوسيو-مهنية للمبحوثين مثل: السن، الجنس، المستوى التعليمي، الحالة الاجتماعية، طبيعة الوظيفة، الخبرة.... الخ

3-فقرات الاستمارة:

ويشمل هذا الجزء أسئلة الاستمارة المختلفة التي تعبر أو تقيس مؤشرات الفرضيات المختلفة، وهنا يمكن اعتبار الفرضيات بمثابة محاور كبرى للاستمارة، ويقوم الباحث بإدراج الأسئلة الخاصة بكل مؤشر من مؤشراتها تحت لوائها، وذلك بترتيبها ترتيبا منطقيا ومتسلسلا، يراعي فيه التوازن بين عدد الأسئلة وبين المعلومات المطلوبة، وذلك باستخدام أسلوب أنيق مع ضرورة تقديم التعليمات التي تساعد المبحوث على الإجابة بسهولة، ودون ارهاق وبأقل جهد.

6-مزايا وعيوب الاستمارة:

هناك الكثير من المزايا تميز الاستمارة كما أنها لا تخلو من العيوب وسنذكر أهمها:

- **مزايا الاستمارة:**

- يستفاد بالاستمارة إذا كان أفراد البحث في أماكن متفرقة ويصعب الاتصال بهم شخصيا، وفي هذه الحالة يستطيع الباحث أن يرسل إليهم الاستمارة بطريق البريد العادي أو الالكتروني، فيحصل على البيانات المطلوبة بأقل جهد وفي أقصر وقت ممكن.
- تتميز بقلة التكاليف والجهد وخاصة إذا نشر على صفحات الجرائد أو وزع على الأفراد، وحتى في حالة ارساله بالبريد فان ذلك لا يكلف كثيرا إذا ما قورن بغيره من وسائل جمع البيانات.

- تعطي الاستمارة البريدية لأفراد البحث فرصة كافية للإجابة على الأسئلة بدقة، ووفي الأوقات التي يرونها مناسبة لهم دون أن يتقيدوا بوقت معين.
- تساعد على الحصول على البيانات حساسة أو محرجة خاصة إذا لم يشترط الباحث ذكر الاسم أو تفاصيل خاصة بشخصية المبحوث.

- **عيوب الاستمارة:**

- بما أن الاستمارة تعتمد على القدرة اللفظية فانه لا يصلح الا إذا كان المبحوثين مثقفين أو على الأقل ملمين بالقراءة والكتابة.
- لا تصلح الاستمارة إذا كانت عدد أسئلتها كبيرا لأن ذلك يؤدي الى ملل المبحوثين واهمالهم للإجابة عن الأسئلة.
- في غالب الأحيان يكون العائد من الصحف قليلا ولا يمثل المجتمع الكلي تمثيلا صحيحا.
- لا يستطيع الباحث اكتشاف ما إذا كانت إجابات المبحوثين صادقة أو غير صادقة لأنه غير متواجد مع المبحوثين أثناء اجابتهم على الأسئلة.
- يستطيع المبحوث أن يكتشف الأسئلة الضابطة أو الأسئلة المراجعة لأنه يمكنه الاطلاع على الأسئلة جميعها قبل أن يجيب عنها وهكذا فإنها لا تحقق الغرض الذي وضعت من أجله.

محاضرة حول: المعاينة والعينة

تحديد المفاهيم:

مجتمع البحث: مجتمع الدراسة، هو جميع الأفراد او الاشخاص او الأشياء الذين يكونون موضوع مشكلة البحث، إذا هي كل الأفراد او الأحداث أو المشاهدات موضوع البحث أو الدراسة.

إذا استطاع الباحث اجراء دراسته على جميع افراد المجتمع فان دراسته تكون ذات نتائج أقرب للواقع وأكثر دقة ونسمي ذلك (مسحا)، ولكن الباحث قد يجد صعوبة في التعامل مع كل مشاهدة من مشاهدات المجتمع لعدة أسباب، مما سيضطره لإجراء الدراسة على مجموعة جزئية من مجتمع الدراسة، وهذه المجموعة نسميها عينة الدراسة.

الحصر الشامل أو المسوحات الشاملة: ويسمى أحيانا أسلوب التعداد لكل مفردة من مفردات المجتمع الاحصائي، وذلك بتجميع بعض البينات المتعلقة ببعض المتغيرات عن جميع مفردات المجتمع الاصلي، من امثلة أسلوب الحصر الشامل: التعداد السكاني والصناعي، حيث من نتائج مثل هذه الدراسات الحصول على – مؤشرات إحصائية –يمكن الاهتداء بها في عملية التخطيط، ويعاب على ها الأسلوب تعذر استخدامه في الكثير من البحوث وخاصة إذا كان مجتمع الدراسة الأصلي كبير حيث يتطلب جهد ووقت وتكلفة.

وعليه فان المسوحات الشاملة تتعرض لأخطاء كبيرة، " كأخطاء الحذف والازدواجية، وأخطاء التسجيل، وأخطاء تجهيز المعطيات، وغير ذلك من الأخطاء التي من شأنها التأثير على جودة العمل، وتنبع هاتّه الأخطاء اساس من صعوبة الاشراف السليم على مثل هذه العمليات الاحصائية الكبيرة، لدى فكثيرا ما تفسر مسوحات العينة عن نتائج أكثر دقة من تعدادات، لأن المسح بالعينة يتيح الوقت للإشراف الدقيق على الاعمال الميدانية وتجهيز النتائج وتقليل الأخطاء البشرية " وقد شهدت السنوات الأخيرة " تناقصا ملحوظا في عدد المسوحات الشاملة نتيجة لعوامل أهمها :

– التطور الكبير الحاصل على مستو العمل الإداري، ما أدى إلى انتظام السجلات الإدارية وسهولة الحصول على المعطيات الإحصائية.

– زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي للأفراد وادراكهم اهمية اعطاء المعطيات الصحيحة، وذلك بسبب ازدياد حاجاتهم الى الخدمات الرسمية والتي تتوقف على الحصول على معطيات مدونة عن الافراد وممتلكاتهم واسرهم وعناوينهم ...الخ

– تطور الاساليب العلمية والاحصائية والرياضية في مجال تعميم استنتاجاتهم العينة وبناء التقديرات والتوقعات الدقيقة، وقد ساعد ذلك بدرجة كبيرة التوسع في استخدام الحاسب الآلي.

المعاينة: وهي: " عملية اختيار عدد كافي من عناصر المجتمع، بحيث يتمكن الباحث من خلال دراسته العينة المختارة وفهم خصائصها ثم تعميم هذه الخصائص (ان امكن) على عناصر المجتمع الأصلي، ولابد أن نتذكر دوما أن ناتج المعاينة هو العينة المرغوب بها " .

العينة: هي جزء من مجتمع البحث أو الدراسة التي الذي تجمع منه البيانات الميدانية، وهي " تعتبر جزء من كل، بمعنى أنه تأخذ مجموعة من أفراد المجتمع على ان تكون ممثلة لمجتمع البحث، فالعينة هي جزء معين أو نسبة معينة من افراد المجتمع الأصلي، ثم تعمم نتائج الدراسة على مجتمع كله .

ووحدات العينة قد تكون أشخاص، كما قد تكون احياء او شوارع او غير ذلك ..."

- **أهمية استخدام المعاينة:**

– تستخدم في البحوث التي لا يكون هدفها الحصر الشامل.
– عند استحالة المجتمع كله.
– عندما يكون هناك تجانس في مجتمع البحث.
– حصر الدراسة في عدد قليل نسبيا يمكن الباحث من جمع عدد أكبر من بيانات وأكثر تفصيلا.
– إمكانية تدريب المبحوثين، حيث تقل الحاجة الى عدد كبير منهم عند استخدام البحث عن طريق المعاينة.
– عندما يؤدي الباحث بالمسح إلى فساد أو إلحاق الضرر بالمجتمع الإحصائي.
– عندما تكون الدراسات الاحصائية مقيدة بالتكاليف والزمن والجهد المخصص لإنجازه، مما لا يسمح للباحث بإجراء المسح الشامل وعندما يضطر الى أخذ من مجتمع الدراسة.

- **الشروط الواجب توافرها في العينة:**

اولا: ان تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصلي: أي تكون شاملة لجميع خصائص المجتمع الأصلي، لأن الباحث لا يستطيع أن يعمم نتائجه إذا اختار العينة بطريقة عريضة، بمعنى أنه اذا تكررت نفس النتائج على عينات أخرى كانت العينة التي يجري عليها البحث عينة ممثلة لمجتمع الأصلي أصدق تمثيلا، بحيث تكون المتوسطات والنسب المئوية لخصائص أعضاء العينة متقاربة أو متشابهة مع متوسطات ونسب المجتمع الأصلي، حتى تصبح العينات ممثلة للكل الذي تنتمي اليه.

ثانيا: أن تكون "لوحدات المجتمع الأصلي فرصا متساوية في الاختيار، وما تجدر الإشارة اليه هو ان ما يكتفي الباحث بالشرط الثاني لأن فيه عادة ضمان لاستفاء الشرط الأول، فاذا ضمنا تساوي فرص الاختيار لجميع الافراد، تحصلنا على عينة ممثلة للمجتمع الأصلي في غالب الأحوال.

أما عن حجم العينة ومدى تمثيلها لمجتمع الدراسة، فيمكننا القول أنه لا توجد نسبة مئوية معينة من حجم مجتمع الدراسة يمكن تطبيقه على جميع الحالات، ولكن هناك مجموعة من العوامل توجب على الباحث ملاحظتها عند تحديد حجم العينة وهي:

- قد يضن البعض أنه كلما ان كلما كان حجم العينة أكبر كان البحث أفضل، حتى أهم يعتبرون دراسة المجتمع كله نوعا من القوة، وهذا اعتقاد خطأ، كما يظن البعض منهم أنه كلما زاد حجم المجتمع يجب أن يزداد حجم العينة وهذا ايضا خطأ شائع، وذلك " لأن المجتمع المتجانس في صفاته يكفي اختيار عينة صغيرة نسبيا لتمثله، وما دام بالإمكان الحصول على نفس النتائج فلماذا نستخدم عينة أكبر.
- وهناك رأي مخالف لها الطرح حيث يرى أن عند تحديد حجم العينة نأخذ في الحسبان: مستوى درجة الثقة والدقة في النتائج التي يسعى الباحث الى تحقيقها، " ذلك أنه من الصعب في معظم الأحيان أن تكون النتائج التي يتحصل عليها الباحث باستخدام العينات مطابقة للنتائج الفعلية في حالة دراسة كامل مجتمع الدراسة الأصلي، فنتائج البحث قد تكون قريبة من النتائج الفعلية وليست مشابهة لها تماما، وكلما كان الباحث راغبا في الحصول على نتائج أكثر دقة وثقة كلما توجب عليه زيادة حجم العينة المختارة.

- واعتقد أن اصحاب هذا الرأي (الرأي الثاني) أقرب الى الدقة، لأنه مهما كان أفراد المجتمع متجانسين، يظل أننا نتعامل مع بشر لديهم اراء وخلفيات معرفية وعاطفية حول موضوع الدراسة، كما لديهم اتجاهات ميول أهواء دوافع .... وعليه فنحن لا نتعامل مع عينة دم تسحب من جسم المريض مثلما يحدث في العلوم الطبية، ولكن نحن بصدد التعامل مع بشر فهمها كان مستوى التجانس كبير، الا انه يظل كلما كان عدد أفراد العينة كبير كلما اقتربنا من درجة الدقة وسهولة التعميم.
- ان العامل الحاسم في تقرير حجم العينة هو تباين أفراد المجتمع، فكلما كبر حجم التباين بين أفراد المجتمع استوجب الأمر اختيار عينة كبيرة نسبيا، ومن فانه كلما كانت خصائص المجتمع الأصلي متجانسة كلما كان حجم العينة المطلوبة صغيرا نسبيا، وهناك ضرورة لزيادة حجم العينة حينما توجد اختلافات جوهرية هامة وعديدة بين أفراد أو مشاهدات.
- مجتمع الدراسة الأصلي، وبذلك يصمن تمثيل لمختلف الأفراد والحوادث التي يتكون منها المجتمع الأصلي.
- في حالة العينات الطبقية لا بد من مراعاة نسبة وجود كل طبقة في المجتمع الأصلي.
- تعتمد بعض الدراسات على تكلفة محددة أو زمن محدد، ولهذا يؤخذ ذلك بعين الاعتبار عند اختيار حجم العينة المطلوبة لكي يتسنى اكمال الدراسة في الزمن المحدد وضمن التكلفة المطلوبة.
- يتوقف حجم العينة على نوع الدراسة وتصميمها وعلى عدد مستويات المعالج فيها، ففي الدراسات المسحية يكفي أن تأخذ ما بين 5 بالمائة الى 20 بالمائة من حجم المجتمع حيث تقل هاته النسبة مع زيادة حجم المجتمع، وربما يكون أقل نسبة مقبولة في الدراسات الوصفية هو 10 بالمائة في حالة كان المجتمع كبيرا (فوق 1000 مفردة) وبين 15 بالمائة الى 20 بالمائة (للعدد من 500 الى 1000 مفردة) وبين 25 بالمائة الى 30 بالمائة (للعدد الأقل من 500 مفردة).

- **خطوات اختيار العينة:**

من الضروري قبل أن يستقر الرأي على اختيار العينة لإجراء بحث ما أن نعرف أولا ما هي المعلومات المطلوبة ولماذا نريدها وما اهميتها وكيفية استخدامها وهذه الأسئلة تجعلنا نحاول الحصول على العينة التي تعطي نتائج ذات دقة معينة بأقل تكاليف ممكنة، وهناك بعض الخطوات الأساسية التي يجب أخذها في الاعتبار عند اختيارنا للعينة منها:

1-تحديد الهدف من البحث: لا بد من تعريف الدراسة المطلوبة وما الهدف منها حتى يمكن أن نبحث عن التصميمات التي يمكن استخدامها وحتى يستطيع الباحث أن يحدد نوع العينة وحجمها لإمكان حل مشكلة البحث فمثلا: " إذا كان الهدف من الدراسة هو بحث مشكلة خاصة بفئة مثل فئة المكفوفين فان العينة والنتائج التي نتوصل اليها من البحث ينبغي أن ترتبط وتقتصر على هذه الفئة.

2-تحديد وحدة العينة (افراد، مجالات، شوارع ...): من الضروري أن يتعرف الباحث على طبيعة عينته، فهي ليست دائما شخصيات حقيقة (أفراد داخل مجتمع)، وانما يمكن أن تكون شخصيات اعتبارية، مثل دراسة حالة المستشفيات الجزائرية او الجامعات الجزائرية، فيمكن للباحث أن يأخذ مؤسسة واحدة ليجري الدراسة عليها، كما يمكن أن تكون العينة مجلات أو سير ذاتية، مثلا ق حالة تحليل محتوى مادة علمية، او إعلامية.

3-تحديد المجتمع الأصلي الذي نختار منه العينة: ان تحديد المجتمع عملية اساسية لم تلق ما يستحق من اهتمام في كثير من الأبحاث، وليس من الضروري أن تنطبق الدراسة على البشر كلهم ولا على جميع العمال أو الطلاب، ولكن قد تقتصر الدراسة على مدرسة واحدة تمكن الباحث من القيام ببحث ليعالج مشكلة أو يدرس ظاهرة تتصل بالمدرسة، "وفي جميع الاحوال والظروف ينبغي على الباحث أن يحدد المجتمع الأصلي تحديدا دقيقا وأن تقتصر دلالة نتائج البحث على المجتمع الذي اختيرت منه عينة البحث وتحديده يقتضي معرفة العناصر الدخلة فيه.

4-تحديد متغيرات الدراسة وذلك لضبط أكبر عدد ممكن من المتغيرات غير المدروسة وتقليل المتغيرات الدخيلة.

5-تحديد حجم العينة (عدد مفردات العينة).

6-تحديد طريقة اختيار العينة.

- **انواع العينات وطرق المعاينة:**

1-العينات العشوائية: الاحتمالية:

عندما نتحدث عن العشوائية وهذا في هذا المقام فإننا – بالتأكيد – لا نقصد العشوائية التي نستخدمها في اللغة الدارجة، ولكن نقصد بها العشوائية العلمية، المبنية على قواعد ومدلولات محددة. " والشرط الأساسي

في العينة العشوائية هو أن تعطي طريقة اختيار أفراد العينة فرصة للاختيار المتساوية لجميع أفراد المجتمع عند سحب أفرادها، كما تعرف بأنها العينات التي يكون فيها لكل عنصر في مجتمع الدراسة فرصة محددة ليكون احدى مفردات العينة، ويتم اختيار العينة العشوائية بأنواعها المختلفة عندما يكون مجتمع الدراسة محدد ومعروف من حيث الحدود الجغرافية والعددية , ويتم الاختيار بطريقة غير انتقائية، وانما بشكل عشوائي ويخضع لشروط محددة حسب نوع العينة، اخذين بعين الاعتبار التجانس والتباين في المجتمع، وأنواعها تشمل ما هو أتي :

اولا: العينة العشوائية البسيطة

ثانيا: العينة العشوائية المنتظمة

ثالثا: العينة العشوائية الطبقية

رابعا: العينة العشوائية العنقودية

اولا: العينة العشوائية البسيطة: حيث يتم في ذه الطريقة حصر ومعرفة كامل العناصر التي يتكون منها مجتمع الدراسة الأصلي، ويتم الاختيار من هذه العناصر، ويعطي لكل عنصر من عناصر المجتمع الأصلي للدراسة نفس فرصة الظهور في العينة المختارة، وتكون فرصة الظهور لكل عنصر معروفة ومحددة سابقا كما أشرنا.

ولتحديد مفردات العينة المختارة هناك عدة وسائل ومن أجل منع التحيز في النتائج تستعمل طرائق في سحب العينة، حيث تكتب أسماء الوحدات على بطاقات ويسحب من هذه البطاقات العدد المطلوب، أو يستخدم جدول الأرقام العشوائية مثل جدول(فنشر) وهو جدول به أرقام عشوائية كثيرة يختار الباحث منها سلسلة من الأرقام العمودية أو الأفقية أو القطرية، ثم يختار من المجتمع الأصلي الأفراد الذين لهم نفس الأرقام التي أخذت من جدول الأرقام العشوائية، وهؤلاء هم العينة المختارة.

أما عن عيوب هذه العينة فيمكننا حصرها في النقاط التالي:

- تعد هذه الطريقة في بعض الأحيان غير عملية، لأنه من صعوبة بما كان توفير قوائم وترقيم عناصر مجتمع الدراسة.
- عدم استدام كافة المعلومات المعلقة بمجتمع الدراسة.

- لا تؤكد هذه الطريقة استخدامها لكافة العناصر التي يتضمنها مجتمع الدراسة.
- خطأ العينة في هذه الطريقة أكر من الطرق الأخرى.
- استخدام هذه الطريقة يتطلب أخذ عينات كبيرة إذا ما قورنت بالعينات الاخرى.
- استخدام هذه الطريقة قد يكون مكلف من حيث المال والوقت.

- خطأ المصادفة: قد يقع الاختيار العشوائي على عينة لا تعكس واقع التركيبة الاجتماعية، كان تكون العينة في معظمها من الطلاب مع أنهم أقل نسبة من الطالبات كما هو الحال في كلية العلوم الاجتماعية، فاذا كان حجم العينة كما في المثال السابق 600 طالب وطالبة، وكان الاختيار للعينة العشوائية وفق للنسبة التالية 50 بالمائة طلا ب و50 بالمائة طالبات ونحن نعلم ان نسبة الذكور في العلوم الاجتماعية لا تزيد عن

ثانيا: العينة العشوائية المنتظمة: وهي شكل من أشكال العينة العشوائية، يتم اختيارها في حالة تجانس المجتمع الأصلي وتوافر اطاره، وسميت منتظمة لأننا نختار فيها مسافة ثابتة منتظمة بين كل رقم، والرقم الذي يليه، وهكذا لو أراد الباحث أن يختار عينة مكونة من 50 مفردة من قائمة فيها 500 اسم ، فانه يقسم 500 على 50 لكي يحصل على المسافة10، في هذه الحالة ، ثم يحدد بطريقة عشوائية رقما فيما بين 01و10 والرقم هو06 مثلا ، ويختار بعد ذلك الأفراد ذوي الرقم 6،16،26،36 ...الخ حتى يجمع أفراده الخمسين، ويجب أن يكون الباحث على حذر لئلا تكون القائمة مرتبة وفقا لترتيب معين يجعل الاختيار غير عشوائي تماما.

ثالثا : العينة العشوائية الطبقية: وهي نوع من العينات تستعمل في الحالات التي يكون فيها المجتمع اختلافات منتظمة، وفي هذا النوع من العينات، يضع الباحث شروطا معينة لاختيار أفراد العينة، بحيث تمثل العينة جميع فئات المجتمع المدروس، وبنفس نسبة وجودها، وبعد تقسيم المجتمع الى فئاته المختلفة يعتمد الباحث الطريقة المتبعة في اختيار العينة العشوائية ضمن فئات(طبقات) المجتمع المدروس، ولكي يتم اختيار يحدد الباحث الفئات المختلفة في المجتمع الأصلي بناءا على خاصية معينة وبطريقة تناسبه، أي أن الباحث يختار لكل طبقة وبطريقة عشوائية عددا من المفردات يتناسب مع حجمها الحقيقي في المجتمع الأصلي.

رابعا: العينة العشوائية الطبقية: وهي نوع من العينات الاحتمالية يلجأ فيها الباحث الى تحديد أو اختيار العينة ضمن عدة مراحل، ففي المرحلة الأولى يتم تقسيم مجتمع الدراسة الأصلي الى فئات حسب معيار

معين، ومن ثم يتم اختيار شريحة أو أكثر بطريقة عشوائية أيضا، وهكذا يستمر حتى يتم الوصول الى الشريحة النهائية والتي يقوم بالاختيار منها بشكل عشوائي مفردات العينة المطلوبة، وتوفر العينة على الباحث الكثير من الوقت والجهد والتكلفة، ولكن يؤخذ عليها احتمالية عدم تمثيلها لمجتمع الدراسة الأصلي بخاصة في حالة عدم تجانس مجتمع الدراسة الأصلي.

- **العينات الغير احتمالية (الغير عشوائية):** تستخدم هذه العينات في حالة عدم القدرة على تحديد مجتمع الدراسة بشكل دقيق، وتتصف هذه العينات بانها لا تعطي نفس الفرصة لجميع افراد مجتمع الدراسة بظهور في العينة، ويظهر ها النوع من العينات الغير عشوائية في اشكال متعددة، وتتراوح هذه العينات بين الانواع لاتي لا قيمة علمية كبيرة لها الى انواع ذات قيمة عالية.

أولا: عينة الصدفة (العرضية)

ثانيا: عينة القصدية او العميدة (الغرضية)

ثالثا: عينة الحصصية

رابعا: عينة كرة الثلج او سلسلة

اولا: عينة الصدفة: يعطى في ها النوع من العينات لعناصر مجتمع الدراسة الاصلي حرية الاختيار في المشاركة في الدراسة، حيث لا يكون هناك تحديد مسبق للعينة، بل يتم اختيار افراد العينة، من بين اول مجموعة يقابلهم الباحث، حيث يوافق هؤلاء على المشاركة في الدراسة وذلك ضمن شروط تضمن تمثيلا معقولا لمجتمع الدراسة.

ويتميز ها النوع من العينات بالسهولة في اختيار عينة الدراسة وانخفاض التكلفة الوقت والجهد المبذول من الباحث، وبسرعة الوصول الى افراد الدراسة والحصول على نتائج، ومما يؤخذ على ها النوع من العينات، انها لا يمكن ان تمثل المجتمع الاصلي بدقة ومن هنا يعب تعميم نتائج البحث، فمثلا تستطلع صحيفة معينة الرأي العام حول قضية معينة، مرشح ما، ومنه غالبا ما يكون ها نوع من عينات غير مماثل لمجتمع الدراسة، وتستخدم هذه العينة في الدراسات الاستطلاعية المسحية المبدئية.

ثانيا: العينة القصدية: وهي العينة التي يستخدم فيها الباحث الحكم الشخصي على اساس انها هي الأفضل لتحقيق اهداف الدراسة، ومنه ينتقي الباحث افراد عينته بما يخدم اهداف دراسته وبناء على معرفته، دون ان يكون هناك قيود او شروط غير التي يراها هو مناسبة من حيث الكفاءة او المؤهل العلمي او

الاختصاص او غيرها، " وهذه عينة ممثلة لكافة وجهات النظر ولكنها تعتبر اساس متين للتحليل العلمي ومصدر ثري للمعلومات التي تشكل قاعدة مناسبة للباحث حول موضوع الدراسة ".

وتكمل الفكرة الجوهرية في العينات العمدية، في الحاجة الى انتقاء عينات ذات مواصفات محددة لتمثل مجتمع ذا مواصفات محددة ومعلومة " ويختار الباحث افراد عينته في هذا النوع دون الاعتماد على الطريقة العشوائية البسيطة، بل يضع الباحث مواصفات محددة لأفراد العينة ' مبنية على المعلومات المعروفة مسبقا عن مجتمع الدراسة، ثم يحاول اختيار الافراد الذين تنطبق عليهم هذه الشروط بدرجة كبيرة ".

وعليه فان نتائجها البحثية والعلمية لا تتمتع بالموضوعية اللازمة في البحث العلمي، اما إيجابياتها فهي كثيرة، " منها قدرتها على اعطاء معلومات وادلة كافية عن طبيعة مجتمع البحث وعدم احتياجها لإجراء عمليات التحليل الاحصائي المعقدة التي تعتمدها العينات العشوائية " .

ثالثا: العينة الحصصية: وهي العينة التي يتم اختيارها من خلال تقسيم المجتمع الى مجموعات او مستويات واختيار عدد من الافراد في كل مستوى بطريقة غير عشوائية وتشبه العينة الحصصية العينة الطبقية في توزيع المجتمع الى طبقات او مستويات، لكنها تختلف عنها " في طريقة اختيار الافراد في كل مستوى، حيث انه في العينة العشوائية التطبيقية يختار الباحث الافراد ضمن كل طبقة او كل مستوى بطريقة عشوائية.

اما في العينة الحصصية فيختار الباحث الافراد كما يريد، دون استخدام الاسلوب العشوائي ودون وضع اي شرط، فالباحث له الحرية في اختيار من يريد من الافراد في كل مستوى ".

رابعا: عينة كرة الثلج : وتقوم هذه الطريقة على اختيار فرد معين وبناء على ما يقدمه هذا الفرد من معلومات تهم موضوع دراسة الباحث حيث يقرر الباحث منم هو الشخص الثاني الذي سيقوم باختياره لاستكمال المعلومات والمشاهدات المطلوبة ، لذلك سميت بعينة الكرة الثلجية حيث يعتبر الفرد الأول النقطة التي سيبدأ حولها التكثيف لاكتمال الكرة اي اكتمال العينة " .

تستخدم هذه الطريقة في المواضيع الحساسة مثل القضايا العاطفية، العرقية، الدينية، مروجي المخدرات ... حيث يصعب من تكوين قاعدة عينة ات مصداقية مقبولة عندها، يمكن اتباع طريقة شبه عشوائية، تحدد فيها مجموعة من الاماكن الاستراتيجية (سوآءا كانت بعيدة نسبيا عن اعين الناس او لم تكن كذلك) والتي يرتادها افراد مجتمع الدراسة لتطبيق الاستمارة على من قد يتواجد بها، بعدها نقوم بسؤال احد افراد العينة عما اذا كان هناك افراد آخرين يمكن تتوافر فيهم خصائص العينة المطلوب ' نحاول لقائهم وتطبيق

الاستمارة عدها نقوم بنفس الخطوة الاولى وهي طرح السؤال لمعرفة المزيد ن افراد العينة، وهكذا تبدأ العينة في الكبر مثل كرة الثلج التي تتدحرج فتبدأ صغيرة وتنتهي بحجم كبير .

- **مزايا العينة:** تتميز دراسة العينة بأنها:

- تمثل المجتمع الأصلي، أي أفراد مجتمع البحث، أو جميع مفردات الظاهرة.
- أن دراسة جميع مفردات الظاهرة أمر يتطلب وقتا وجهدا وتكاليف، ولا تمكن الباحث من اجراء بحثه، والعينة تغنيه عن ذلك.
- تحقق العينة أهداف الباحث، اذا تمت وفق شروط مضبوطة.
- اذا كان المجتمع المدروس متجانسا، فانه يمكن تعميم النتائج على جميع أفراد هذا المجتمع.

- **عيوب العينة:**

- عدم إمكانية حصر كامل عناصر مجتمع الدراسة الأصلي اذا كان متباينا.
- يتطلب اختيار العينة في المجتمع الأصلي المتباين وزيادة حجم العينة لتشمل أفراد جميع الفئات.
- بعض التصميمات التجريبية تتطلب وجود مجموعات تجريبية، ويعني هذا أن نختار حجما كبير للعينة، بحيث تمثل أفراد المجتمع الأصلي.
- النتائج الدقيقة تتطلب عينة كبيرة الحجم، بهدف تعميم النتائج على المجتمع الأصلي الكبير.
- قد لا تتوافر الدقة اللازمة، في هذه الحالة لا تمثل العينة المجتمع الأصلي كما يجب.

محاضرة حول: المدرسة الاسلامية

منهجية البحث العلمي وأصالتها عند علماء الإسلام مميزات المنهج الإسلامي في البحث العلمي:

إن المنهج الإسلامي في البحث العلمي –عموما –له مميزات وخصائصه التي ينفرد بها دون غيره من المناهج الأخرى، لأنه يستقي أصوله من الشريعة الخالدة، أي من الله الخالق العليم بما خلق وقدّر ("ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير") الملك 14.

فمن خصائص المنهج الإسلامي الثبات بعكس المناهج الأخرى التي تتبدل وتتغير بين الحين والآخر، وقد تظهر نظريات جديدة تلغي القديمة، بينما يظل المنهج الإسلامي ثابتا في أصوله وقواعده في كل زمان ومكان ("فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنت الله تحويلا ") فاطر 43.

ومن خصائصه أيضا أنه شامل ومتكامل، فهو لا يركز على ناحية واحدة فقط في هذا الكون، كما لا يركز على فكرة محددة، وإنما هو مُسخر لخدمة الإنسان في شؤونه كلها، وفي معاشه ومعاده، فهو يجمع بين الحياة والآخرة، وبين المادة والروح

كما وضع الإسلام بعض المبادئ والقواعد التي تضبط منهجية البحث العلمي وتميزه عن غيره وتصونه من أي انحراف على الهدف أو تضييع للجهود والأوقات، وسنكتفي هنا بضابطين مهميّن لسلامة البحث العلمي وهما:

1–التلاؤم بين المنهج وموضوع البحث : وهو من أبرز مميزات المنهجية الإسلامية ونجاحها في تحقيق العلم في كافة المجالات، لأن لكل مجال معرفي منهجا علميا يناسبه. فاكتشاف الحقائق والقوانين في الكون والطبيعة يلزمه المنهج التجريبي، والبحث في الأخبار والروايات والأسانيد يناسبه المنهج التاريخي، وهكذا بقية المواضيع. وعدم التناسب بين المنهج والموضوع يؤدي إلى فساد كبير في مجال البحث العلمي، وهذا ما وقع فيه الفكر الغربي، لما حكّم أصحاب المذهب المادي المنهج التجريبي في قضايا ما وراء المادة. وصاروا ينكرون الغيبيات ويحصرون العلم فيما هو خاضع للحس والتجربة فقط، وغير ذلك في رأيهم ليس علما وإنما هو عبث وهراء.

2–التناسب بين مجال المعرفة وقدرة العقل : إن الإسلام لا يريد أن يبدّد طاقة العقل فيما لا فائدة منه. ولا يريد أن يزج بالعقل في مجالات من البحوث تفوق قدرته وطاقته. لذلك حظر –مثلا–البحث في كنه الذات

الإلهية، أو البحث في كنه عوالم الغيب وفي حقيقة الروح وموعد قيام الساعة، لأن تلك الأمور مما استأثر الله بعلمها، يقول عز وجلّ ("ويسألونك عن الروح قل الروح من أمري ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا") الإسراء 85.

مناهج البحث العلمي وأصالتها في الحضارة الإسلامية:

تختلف مناهج البحث العلمي باختلاف حقول المعرفة وأنواع العلوم. فلكل منهج مجاله وخصائصه. وما يصلح لعلوم الطبيعة قد لا يصلح للعلوم الاجتماعية، لكنها بصفة عامة تمثل طريقا للتفكير والعمل المنظم يقوم على الموضوعية والمرونة ويعتمد على الملاحظة والحقائق العلمية والقدرة على التنبؤ.

وسنأتي في هذا المطلب إلى ذكر أهم أنواع المناهج باختصار موضحين دور الحضارة الإسلامية في نشأة هذه المناهج العلمية أو تطويرها.

الفرع الأول: المنهج التاريخي

أولاً: مفهومه: يتكون التاريخ من الوقائع والأحداث والحقائق التي حدثت في الماضي، ولدراسة هذه الوقائع التاريخية والاستفادة منها، لا بد من اتباع المنهج العلمي التاريخي الذي يعرف بأنه "مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه."

ثانياً: مراحله: لقد مرت عملية التاريخ في الحضارة العربية الإسلامية بمرحلتين أساسيتين، الأولى تعرف بمرحلة منهج الرواية، وهو المنهج الذي عمل به الإمام الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" حيث كان يعتمد فيه على مجرد نقل الروايات التاريخية كما تصله بدون تغيير أو تفسير أو التشكيك في صحتها، وكان يقول أن العهدة على الراوي وليس على المؤرخ. أما المرحلة الثانية وهي مرحلة البرهان، وهي المرحلة التي صاغ منهجها العلامة ابن خلدون، حيث حول عملية التأريخ إلى علم حقيقي والمنهج العلمي الذي صاغه يمر بالمراحل التالية:

1-اختيار موضوع البحث وتحديد المشكلة العلمية التاريخية.

2-جمع وحصر الوثائق التاريخية من مصادر أولية وثانوية.

3-نقد الوقائع والحقائق والوثائق نقدا داخليا وخارجيا.

4-عملية التركيب والتفسير.

5-صياغة وإنشاء البحث التاريخي.

ثالثاً: المنهج التاريخي عند المسلمين: إن منهج البحث التاريخي عند المؤرخين العرب والمسلمين كان منهجا علميتا في خطوطه العامة، وإن العلم الحديث ليسجل لهم أنهم أول من ضبط الحوادث بالإسناد والتوقيت الكامل، وأنهم أول من كتب فلسفة التاريخ والاجتماع وتأريخ التاريخ.

وقد ظهر المنهج واضحا عند المؤرخين القدامى أمثال (الواقدي)ت 130هـ(وابن اسحاق)ت 150هـ(والأسدي)ت 200هـ(وابن الكلبي)ت 204هـ(والطبري)ت 224هـ(والمسعودي)ت 346هـ(وغيرهم حتى جاء القرن الثامن الهجري وظهر ابن خلدون بمنهجه النقدي للتاريخ، سابقا في ذلك علماء المنهج الاستردادي في الغرب بعدة قرون. يقول ابن خلدون في مقدمته "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم ،وحتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج إلى مآخذ ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق....وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على أوصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط". كما أن العلماء المسلمين قد فطنوا إلى أن الوقائع والأحداث التاريخية ما هي إلا تجارب حدثت بين البشر، وهكذا فإن ابن خلدون يعتبر أول من استخدم المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية. وتجدر الإشارة إلى أن علوم الحديث كعلم الجرح والتعديل وعلم أصول الفقه وتاريخ الطبقات والرجال وغيرها تندرج ضمن المنهج التاريخي.

الفرع الثاني: المنهج التجريبي الاستقرائي عند المسلمين

يقول فرانتز روزنتال في كتابه القيم "مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ما يلي: " إن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو جليا في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم، فإنهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلمون من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد.... وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة وبصفتهم مفكرين مبدعين فإنهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقلي الرياضيات والفلك".

ويقول الدكتور كويلر لونج من جامعة برنستون بواشنطن :"كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الثقافة العربية الإسلامية، كما وأن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، والذي أخذ به علماء أوروبا إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوروبيين بالعالم الإسلامي عن طريق دولة العرب في الأندلس."

من خلال هاذين الشهادتين نكتشف أن علماء الإسلام كانوا روادا للمنهج الاستقرائي التجريبي، فقد تميزوا بالملاحظة والتجربة والاستنتاج، والمجال لا يسمح لذكر أمثلة عن تطبيقاتهم في علوم الطبيعة والطب والصيدلة والكيمياء. ونكتفي بنص لجابر بن حيان (ت 200هـ) يدل على اعتماده على التجربة والملاحظة حيث يقول: "ويجب أن تعلم أنا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا وقرأناه بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح عندنا بالملاحظة الحسية أوردناه وما بطل نفيناه، وما استخرجناه نحن أيضا وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم." وقد ترجمت مؤلفات جابر ومنها كتاب ميدان العاقل وكتاب الماجد، إلى اللاتينية حيث عرف باسم Geber.

ولقد سبق العالم الإسلامي الكبير ابن الهيثم الغرب بعدة قرون بوضع خطوات المنهج التجريبي كما يلي:

1-وضع المبادئ والمقدمات السابقة في ميدان بحثه تحت التمحيص، وعدم التسليم بها مطلقا أو رفضها مطلقا ، وإنما وضعها تحت منظار التحقيق حيث يقول: (" ونستأنف النظر في مباديه ومقدماته).

2-جدد النظر في الفروض العلمية عن طريق الاستقراء وتتبع خواص الجزئيات وذلك عن طريق الملاحظة والمشاهدة، والقيام بالتجارب لاستبعاد ما لا يراه صالحا وذلك عنت طريق السبر والتقسيم، أو ما أسماه فرنسيس بيكون بمنهج الحذف والاستبعاد، يقول ابن الهيثم:" ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال المبصرات، وتميز خواص الجزئيات، ونلتقط ما يخص البصر في حالة الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه في كيفية الإحساس".

3-استخدم ابن الهيثم القياس المؤسس على الاستقراء من أجل تجميع النتائج والترقي بخطوات البحث، يقول:" ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب."

4-ثم يصل ابن الهيثم إلى مرحلة تقنين النتائج وتركيبها مراعيا التحري والنقد، ومتحفظا من الغلط والأوهام في النتائج عن طريق الإحصاء الشامل والمراجعة الدقيقة لكل خطوات بحثه حتى يكون على يقين من أنه لم يغفل شيئا في موضوعه، وأنه أخضع كل شيء للنقد والتحري، كما تشير إليه بقية الفقرات في النص

المذكور، ومما يذكره ابن الهيثم عن التحري وتجنب الأوهام العارضة للنفس قوله:"ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا إتباع الهوى، ونتحرى في جميع ما نميزه وننتقده طلبا للحق لا ميل مع الآراء".

ونشير في الأخير إلى أن فرانسيس ببيكون وغيره من علماء الغرب، والذين ينسب إليهم المنهج التجريبي، كان يستشهد في كتاباته بابن الهيثم وابن سينا والكندي وغيرهم.

محاضرة حول: المدرسة الماركسية

كان الفيلسوف الألماني كارل ماركس (1818-1882) هو مؤسس الماركسية وما يسمى بالاشتراكية العلمية. وقد كان بوجه خاص أحد علماء الاجتماع والاقتصاد. أما من حيث اتجاهه الفلسفي فإنه ينتمي إلى اليسار الهيجلي. درس ماركس الاشتراكية في فرنسا والتقى هناك زميله فردريك إنجلز، وعن طريق إنجلز ذهب ماركس إلى انجلترا حيث اهتم بالمسائل الاقتصادية، ورأى مدى الاستغلال الاجتماعي للطبقة العاملة. وفي عام 1848 أصدر ماركس في بروكسل مع إنجلز "البيان الشيوعي". أما مؤلفاته فهو كتابه "رأس المال" الذي صدر عام 1867.

وهناك طريقان مختلفان لفهم فكر كارل كارس:

أولا: هو طريق الشيوعيين أو الماركسيين "الأرثوذكسيين"، وينظر هؤلاء إلى ماركس باعتباره الأب الروحي الحقيقي بجانب إنجلز ولينين وستالين – ويرون أنه لا يوجد هناك تطور في فكر ماركس كما لا توجد هناك أية اختلافات بين فكر هؤلاء الأربعة الكبار، ويعتبرون ماركس أول الماديين الجدليين، ويفهم من كتاب "رأس المال" بروح إنجلز.

ثانيا: هو طريق المؤلفين الغربيين، والألمان منهم بوجه خاص، ويحاول هؤلاء أن يجعلوا من ماركس واحدا من فلاسفة الحياة الذين يطلبون –في مواجهة الفلسفة المثالية–العودة إلى الحياة من "الاغتراب،" وهذا الفهم الغربي لماركس يركز في واقع الأمر على مؤلفات ماركس المبكرة، ويتغاضى عن مؤلفاته المتأخرة، ويعتمد على بعض أقوال لماركس تؤيد هذا الفهم. وقد أخذ ماركس من فيورباخ مذهبه المادي المرتبط بالجدل، كما أخذ عنه أيضا النزعة الإنسانية والإلحاد، وأغلب النظريات التي قال بها لينين فيما بعد نجدها لدى ماركس.

وتتمثل ابتكارات ماركس في النقاط الثلاث التالية:

1-**المادية التاريخية:** يعد ماركس مؤسس المادية التاريخية، وهذه النظرية هي تطبيق المادية الجدلية على التاريخ .وطبقا للمادية التاريخية فإن الظروف الاقتصادية هي التي تحدد أو تصوغ في النهاية محتوى أو مضمون الوعي الاجتماعي الذي يتمثل في العلم والفن والدين والسياسة وغيرها. فالظروف الاقتصادية هي "الدعامة "والأساس، في حين أن الوعي الاجتماعي ليس إلا انعكاسا أو هو "البناء الفوقي" لظروف الحياة الاقتصادية.

2-نظرية التطور الحتمي للمجتمع : قام ماركس بعرض نظرية التطور الضروري الحتمي للمجتمع. هذا التطور الذي يتحتم أن يؤدي إلى الشيوعية عن طريق صراع الطبقات. وإذا كان هيجل قد ارتأى أن الأمم أدوات لنقل الحركة الجدلية، فإن ماركس يستبدل بها الطبقات. وبناءا على نظرية ماركس فإن الشيوعية ستؤدي إلى تحرير الإنسان من العبودية، وهذا التحرير لدى ماركس –على عكس نزعته الجبرية فيما عدا ذلك–يصبح واجبا على البروليتاريا ورسالة لها لتحقيق الشيوعية عن طريق الثورة.

3-المعنى المزدوج للتطبيق : يقول ماركس بمعنى مزدوج للتطبيق أو الممارسة العملية على النحو التالي:

أ-التطبيق العملي وحده هو الذي يؤدي إلى وعي سليم وحقيقي.

ب-واجب الفيلسوف لم يعد هو القيام بتفسير العالم فحسب، وإنما واجبه هو تغييره، وفي ذلك يقول ماركس في عبارة مشهورة: "لقد اقتصر الفلاسفة على تفسير العالم على أنحاء شتى، ولكن المهمة الحقيقية هي تغييره". وقد سمى ماركس نفسه "هيجليا مقلوبا". فقد نظر هيجل –كما يقول ماركس–إلى العالم من أعلى، فالفكرة لدى هيجل هي الأولى، وكل شيء آخر هو طواهر منبثقة عن الفكرة وعن الفهم أو روح العالم، ولكن ماركس يرى –على عكس ذلك–أن الشيء الأول هو الحقيقة الواقعة المادية. ويقول إن هيجل قد قلب وضع العالم وجعله يقف على رأسه، ويجب –في نظر ما ركس–أن يرى المرء الأشياء مرة أخرى في نظامها الصحيح، ولذلك يسمي ما ركس نفسه "ماديا."

ج-المجتمع الشيوعي اللاطبقي الذي يجب الكفاح من اجل الوصول إليه (المركب الجامع بين الدعوى ونقيضها)

وهذا الثالوث وحده، هو الذي تبقي لدى ماركس من عملية تطور العالم كما يفهمها هيجل، ومن ذلك يتضح أن ماركس كان ثوريا أكثر منه فيلسوفا، فالفلسفة لديه ليست إلا وسيلة لاتجاهاته السياسية.

وقد كان لنظرية ماركس القائلة بأن كل إدراك للعالم المحيط بنا يستند إلى شروط أساسية مادية معينة –كان لها تاريخيا تأثير كبير. وقد أصبح ماركس أبا للمادية التاريخية بتطبيق للمادية الجدلية، التي هي فلسفة عامة، على دراسة المجتمع بقصد تغييره.

وفي التاريخ يجب أن يميز المرء الدعامة المادية من البناء الفوقي (الأيديولوجي، فالدعامة المادية تتمثل في ظروف الملكية التي تسمى أيضا بالظروف المادية.

والظروف الملكية هذه، أو النظام الاقتصادي بالتعبير الحديث، هي التي تحدد مسار التاريخ، والتاريخ في حقيقة الأمر هو صراع دائم حول الأمور الاقتصادية. فالطبقة المستفيدة من النظام الاقتصادي القائم يقابلها باستمرار طبقة أخرى متضررة من هذا النظام. وتحاول الطبقة المستفيدة الحفاظ على النظام القائم، بينما تحاول الطبقة المتضررة تغييره، وتكافح هذه الطبقة المتضررة أيضا في إطار النظام القائم في سبيل الحص ول على مشاركة أكبر في الإنتاج الاجتماعي. وتبعا لذلك فإن "كل تاريخ هو تاريخ لصراع الطبقات" كما يقول ماركس.

وقد سار تطور المجتمع أو يسير عبر المراحل التالية: المجتمع البدائي، العبودية، الإقطاع، الرأسمالية، الاشتراكية

الشيوعية. وكل مرحلة تمثل تقدما بالمقارنة للمرحلة السابقة لها، وكل مرحلة تنتهي بثورة الطبقة المضطهدة والمتضررة، وهكذا تكونت الطبقة البورجوازية في ظل النظام الإقطاعي، وتكونت طبقة البروليتاريا في ظل النظام الرأسمالي.

وفي ظل الاشتراكية والشيوعية، يتم بمساعدة دكتاتورية البروليتاريا الاستيلاء على وسائل الإنتاج لتصبح ملكا جماعيا، وبارتفاع الطبقات والقضاء على الطبقية يتم وضع نهاية لصراع الطبقات. وفي ظل الشيوعية في آخر الأمر يتم توزيع الإنتاج حسب الاحتياجات.

وهناك، في رأي ماركس، اهتمامات طبقية اقتصادية وراء كل الأفكار والديانات والاتجاهات والمفاهيم القان ونية وأشكال الدولة والعادات إلخ. وهذه كلها تعد بمثابة "البناء الفوقي الأيديولوجي" لتلك الاهتمامات الطبقية الاقتصادية.

وفي حين يدافع المجتمع الرأسمالي عن المذهب المثالي، نجد المجتمع الشيوعي يذهب إلى الأخذ بالمذهب المادي. ويزعم الماركسيون أن الفلسفة المادية تعد بصفة أساسية فلسفة الطبقة التقدمية أو الطبقة المستغلة التي تدافع في سبيل حريتها، كما تفضل الطبقة الحاكمة في كل العصور الفلسفة المثالية التي هي في نظر ماركس أفيون الدين يصرف انتباه الناس عن الحقيقة الواقعة.

محاضرة حول: المدرسة الوضعية

1-تعريف المذهب الوضعي :

أ-الوضعي: ما يتعلق بالفلسفة الوضعية وهي فلسفة الفيلسوف الفرنسي المعاصر أوغست كونت خاصة، غير أن للكلمة مدلولات كثيرة مثل الثابت والايجابي والواقعي والتقني والبناء والإثباتي والمُوجب وغير ذلك مما يتعذر حصره إلا في سياق النص.

مذهب وضعي مذهب فلسفي اشتهر به أوغست كونت ، ينكر علم ما بعد الطبيعة ويشدد على المعرفة العلمية التي تؤدي وحدها إلى اليقين، وتقتصر، في رأيه على التعبير عن العلاقات بين الظواهر دون البحث عن الأسباب البعيدة.

ب-وضعي: يقال على المعاني التي هي من وضع الإنسان أو من وضع الإله. الحقائق نوعان: حقائق خالدة وهي ضرورية، أي أن معارضتها تفضي إلى التناقض. وحقائق موضوعية لأنها قوانين طاب لله أن يسير بها الطبيعة، ونحن ندركها إما بالتجربة، أي أنها بعدية، وغما بالعقل، أي أنها قبلية.يقال لفظ "وضعي "عند أوغست كونت في مقابل "وهمي". إن كلمة "وضعي" تدل على الواقع الذي يقابل الوهم. ومن هذه الوجهة تساير الوضعية الروح الفلسفية الجديدة التي تتميز بالارتباط الدائم بالبحوث التي يقدر العقل عليها.

الوضعية مذهب أوجست كونت الذي يقرر أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينها

من علاقات أو قوانين، وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية، وأنه يجب من ثمة العدول عن كل بحث في العلل والغايات. ويدلل كونت على نسبية معرفنا بعرض تاريخ العقل فيقول إن العقل مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة وضعية. وقد عرض كونت مذهبه في أربعة كتب هي:

"دروس في الفلسفة الوضعية ".

" خطاب حول الروح الوضعية ".

"العقيدة الوضعية ".

"نظام الحكم الوضعي ".

ويقال مذهب الوضعية على المذاهب التي تقرر أن المعرفة الحقة هي معرفة الواقع، وأن اليقين قائم في العلوم التجريبية.

ج-وضعي: ما كان وضع واضعٍ فهو موضوع أيضاً. يقال قوانين وضعية لأنها من وضع الإنسان، في مقابل القوانين الطبيعية، وتسمى لذلك حقائق وضعية من جهة أن من وضع الله، ودين وضعي في مقابل الدين الطبيعي، والعلم الموضوعي أي الذي يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع من جهة بعض الغايات المتصورة. والوضعي هو الحسي أو التجريبي في مقابل التأملي أو الخيالي أو الوهمي، وهو الإيجابي في مقابل السلبي، والُصادق في مقابل الكاذب.

الوضعية: يطلقُ عليها أوغست كونت اسم العقيدة الوضعية وهي مذهب من يرى أن الفكر مناطه الواقع، وأنه وق د عجز عن الكشف عن المبادئ والعلل الأولى والغايات النهائية ، انصرف عن الميتافيزيقا والدين، واكتفى بالواقع يبحث في ظواهره، ويكشف عن العلاقات بينها، ويتحرى قوانينها، وأنه لذلك قد م ر بمراحل ثلاث، كان في الأولى لاهوتياً، وفي الثانية ميتافيزيقاً، وهو الآن في الم رحلة الوضعية.

2-التعريف بأوغست كونت وعرض لأسس مذهبه الوضعي: كونت ايزيدور أوجست ماري فرانسوا اكزافيي

1798-1857(فيلسوف فرنسي، ولد في مونبلييه في يناير 1798 لوالدين كاثوليكيين، حصل على مكان في مدرسة الفنون التطبيقية بباريس عام 1813 كنه كان من صغر السن بحيث لم يصلح لأن يلتحق بها حتى عام 1814، وفي عام 1816 تزعم كونت حركة عصيان قام بها الطلاب، وكان من نتيجتها أن طرد وبقية زملائه في نفس السنة الدراسية. وفي عام 1817 أصبح سكرتيراً لـ "سان سيمون "الكاتب الاشتراكي، وقد أثر فيه سان سيمون إلى حد بعيد، لكن نظراً لأن كونت كان يفوقه احاطة بالمعرفة العلمية وقدرة على عرض تفكيره، اعتقد بعضهم أنه كان المؤلف الحقيقي لكثير مما نشر باسم سان سيمون في تلك الفترة. وفي عام 1822 ظهر تحت رعاية سان سيمون كتاب كونت "خطة للمؤلفات العلمية اللازمة لإعادة تنظيم المجتمع" وهو يحتوي على الغالبية العظمى من أفكار فلسفته في صورتها المكتملة، وفي عام 1824 تخاصم كونت مع سان سيمون واعتزل خدمته. بدأ كونت في عام 1826 القاء سلسلة من المحاضرات العامة في "الفلسفة الوضعية" وكان يتابع هذه المحاضرات بعض أقطاب العلم، لكن كونت اضطر إلى الانقطاع عن القاء هذه المحاضرات بسبب مرضه العقلي. وفي العام التالي حاول أن ينتحر غرقاً في نهر السين، لكنه عاد في عام 1829 فاستأنف محاضراته العامة التي نشرت في ستة اجزاء في الفترة من عام 1830 إلى عام 1842 بعنوان "محاضرات في الفلسفة الوضعية"، وهذا هو مؤلفه الرئيسي، وفيه يبسط نظريته في

المعرفة وفي العلوم، ويضع أسس العلم الجديد الذي أسماه في بادئ الأمر "الفيزيقا الاجتماعية" ثم أسماه بعد ذلك "علم الاجتماع."

والدعوى الأساسية التي يطرحها مونت في هذا المؤلف للبحث هي اننا ينبغي أن ننصرف عن محاولتنا استكشاف علل العالم الطبيعي فيما وراء هذا العالم، سواء حاولنا ذلك بناء على أساس لاهوتي أم على أساس طبائع أو ماهيات ميتافيزيقية، وذلك في سبيل المنهج العلمي الذي يربط وقائع الملاحظة بعضها ببعض. وهو يرى أن العلوم الوضعية قد تطورت على نحو مطرد، بحيث كانت العلوم الأولى في سلسلة التطور اساساً يقوم عليه ما تلاها من علوم، من هنا كان ترتيب العلوم الذي يضعه على نحو تصاعدي من حيث درجة التعقيد كما يلي: الرياضة فالفلك، فالفيزيقا والكيمياء، فعلم الحياة الذي يضمنه علم النفس ، ثم يبقى بعد ذلك علم الاجتماع، وهو العلم الذي يزعم كونت أنه مؤسسه.

وعلم الاجتماع كما تصوره يتكون من الجانبين السكوني والحركي للمجتمع الاستاتيكي والديناميكي فأما فيما يتعلق بالنوع الأول، فقد رأى أن العناصر الاجتماعية مرتبطة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً في "وفاق اجتماعي" بحيث يستحيل أن يتغير جزء من اجزاءه جذرياً دون أن تترتب على ذلك أثار خطيرة على المجتمع بكامله. وأما فيما يتعلق بالنوع الثاني، فقد رأى كونت أن التطور العقلي هو العلة الرئيسية للتغير الاجتماعي، وأن المجتمع الإنساني بناء على ذلك يمر بنفس المراحل اللاهوتية والميتافيزيقية والعلمية الوضعية التي تمر بها العلوم، وعلى ذلك فقد كانت هناك مبادئ بادئ ذي بدء مرحلة من الحكم الديني، وهي مرحلة تقليدية اتسقت فيها السلطة بعد ذلك بين قوة الملوك الدنيوية وقوة الكهنة الروحانية، وفي المرحلة الميتافيزيقية حدث نوع من الفوضى تعرضت فيها كل من السلطة الدنيوية والسلطة الروحانية للهجوم: على أن مرحلة الانتقال هذه تعقبها المرحلة الوضعية حينما يكون رجال العلم قوة روحية جديدة تبقى على الأيام، حينئذ يقام مجتمع منظم على أساس التعاون الذي ستؤدي إليه المعرفة الوضعية بالوقائع الاجتماعية.

الخاتمة:لقد اهتمت الوضعية عند أوغست كونت بدراسة الظواهر النسبية غير المطلقة، بالتوقف عند العلاقات الثابتة بين الوقائع والظواهر ، في إطار ترابطها النسبي، بغية استخلاص قوانينها وقواعدها النظرية والتطبيقية. ومن ثم يمكن القول بأن أوغست كونت يعد من أهم مؤسسي علم الاجتماع الوضعي، ومن السباقين إلى الأخذ بمنهج التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية، بتمثل منهجية الفيزياء والبيولوجيا والكيمياء في التعاطي مع الظواهر المادية ،مع الاعتماد على مجموعة من الخطوات العلمية، مثل الملاحظة، التجربة، المقارنة، والتاريخ.